دخل عرجت الملائكة فنظر زكريا الى ما ينب فقال كما اخبر له تعالى فتقبلها ربها (الآية) ثم حمد الله على ذلك وانصرف

نضبط هنا عنان القلم مؤجلين لمرّة اخرى ما كتبهُ المسلمون عن العذراء مريم منذ بلوغها وبشارة الملاك اليها الى آخر حياتها. وفي ما نشرنا هذه الدفعة كفاية للدلالة على مقام العذراء مريم عند كل المسلمين اذ صدّقوا على الامتيازات التي حصلت عليها وبها فاقت على كل نساء العالمين. وهيهات ان ترى شيئاً من تلك النعم في سواها

ومن الوقوف على هذه الخواصّ العجيبة التي تشرّفت بها مريم امّ يسوع يمكن ايضاً ان نتبيَّن عظم ابنها السيد المسيح. فان كانت الام في هذه المرتبة السامية فما القول عن ابنها المدعو في نفس القرآن بروح الله وكلمة الله. أليس يثبت بذلك اعتقاد النصارى ان السيد المسيح يعلو فوق الطبيعة البشرية وانهُ الاله المتأنس ؟

حاضرة سان باولو في البرازيل

نظر تاريخي واقتصادي للقس جرجس اليان السرياني الكاثوليكي

ابحرتُ من بيروت برخصة نيافة الكردينال تاجي رئيس مجمع الكنيسة الشرقية واذن غبطة مولاي الكلّي الطوبى البطريرك افرام الثاني رحماني في ٢٥ تشرين الاوّل من العام الماضي على ظهر الباخرة شامبوليون فوصلنا الى مرسيليا في غاية الشهر المذكور. وركبت منها الباخرة ألسينا المتوجهة الى البرازيل فبلغنا خليج ريو دي جانيرو في ٢١ تشرين الثاني ونحن في طريقنا نعاين البلاد وعجائب البرّ والبحر ما يطول شرحهُ وقد وصفهُ قبلنا وصفاً شائقاً الاديب حبيب افندي فريحه البشعلاني في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٢٦٠ــ٢٢٦) ومن ثمّ اني اقتصر على ذكر المدينة سان باولو احدى حواضر البرازيل التي حللتها منذ قريب عام كامل

تاريخ سان باولو

سان باولو (São Paolo) مدينة كبيرة على ضفّة نهر ينصبُّ في نهر تياتي من روافد نهر پارانا الكبير

يرتقي اصل هذه المدينة الى اواسط القرن السادس عشر والفضلُ في اختيار موقعها يعود الى اليسوعيين الذين أدّوا للبرازيل عموماً ولسان باولو خصوصاً من الخدم الكبيرة التي لا يجحدها إلّا من يغمط نِعَم المحسنين وينكر الحقائق التاريخية الباهرة

كان اوّل وصول اليسوعيين الى البرازيل سنة ١٥٤٩ في عهد منشئ رهبانيّتهم القديس اغناطيوس وبعد تثبيت جمعيّتهم بسنين قليلة. طلبهم ملك البرتغال ليسيروا في رفقة حاكم البرازيل توما دي سوزا (Thomé de Souza) وكان رئيسهم احد نوابغ رهبانيّته الاب مانويل دي نوبريغا (M. de Nobréga) ومن جملتهم شابٌّ ذو همّة قعساء اعدَّهُ الله ليكون رسول البرازيل الاب يوسف دي أنكيتا (J. de Anchiéta)

ما كادت قدَمهم تستقرُّ في ساحل البرازيل حتى فكّروا في تهذيب اهلها الوطنيين فسكنوا اوّلًا في المكان المُعدّ لتَنصير مدينة سان سلڤادور وفتحوا فيه مدرسةً ثمّ رحل بعضهم الى مدينة باهيا (Bahia) فخصُّوها ايضاً بمدرسة عمّروها على نفقتهم باحشاب كانوا يقطعونها من غابة قريبة فدخلها سنة ١٥٥١ عشرون تلميذًا كانوا باكورة الحضارة النصرانية في البرازيل

ثمّ سارت فئة ثالثة من المرسلين قاصدةً تهذيب قبائل هندية في داخلية البلاد تُدعى پيراتينينغا (Piratininga) فبلغوها في ٢٥ كانون الثاني وفيه عيد ارتداد القديس بولس الرسول فدعوا ذلك المكان باسم هذا الاناء المصطفى. وهو الاسم الذي غلب منذ ذاك العهد على مدينة سان باولو. وكان اوّل ما ابتنَاهُ اليسوعيّون مدرسة كبيرة رأسها الاب مانويل دي پيڤا (M. de Paiva) والى رفقته الاب أنكيتا فتفانى في تهذيب الاحداث الذين دخلوا المدرسة فكان يتولى كلّ شؤونهم مساعيًا وادبيًا لا يدع شيئاً من امورهم اكلًا وشرباً وكسوةً ومبيتاً وطبابةً ودرس لغتهم

الهندية المسماة «تابي» وألف فيها لاخوته غراماطيقا ومعجماً فكان كلًّا للكل على حسب قول الرسول

وما عتمت هذه المدرسة البنية على اسم القديس بولس ان اصبحت مركزاً للهنود فأتوا وبنوا حولها اكواخهم كما نمارا حول مدرستي سان سلفادور وباهيا ومع خدمة اليسوعيين للهنود خدموا ايضاً وطنهم فدافعوا عن تلك المستعمرات التي لدولتهم فنظّموا الوطنيين وعلّموهم كيف يتصدّون لاعدائهم . وأما سائر الكاوبنيون الفرنسويين ليغزوا تلك البلاد قامت العشائر الوالية للبرتغاليين الكاثوليك في وجه الغزاة واضطرّوهم بعد زمن قليل الى ان يرجعوا على اعقابهم خاسرين . واستمرّ المرسلون اليسوعيّون يفلحون ذلك كرم الربّ بعرق جبينهم وبدمائهم فأتت اعمالهم بأثمار طيّبة ونصّروا كثيرين من تلك القبائل التي كان بعضها ممّن يقتاتون بلحوم البشر . وثبتوا على جهادهم الى زمن المركيز دي بومبال الذي نفاهم من البلاد

ومما يعود فيه الفضل الى اليسوعيين طول زمن اقامتهم في البرازيل مساعيهم في عتق الهنود العبيد من رقّ عبوديّتهم فكان التجّارون يجلبون سنويًّا منهم عشرات الالوف فيبيعونهم بَيْع السِّلَع من اصحاب الاملاك فيجبرونهم على استغلال ارزاقهم وسائر اشغالهم الشاقة فقام اليسوعيون وقعدوا لالغاء هذه التجارة المستقبحة لا يبالون بغضب اولئك الاسياد الظالمين المتغطرسين(١

بقيت سان باولو قريةً صغيرة لا يزيد سكّانها على بضع مئات من الاهلين المتحدرين من اكواخ حول المدرسة اليسوعية وكان سبب خمولها قلّة الامن وفقد الراحة سوء كان ينشب الحرب بين القبائل الوطنيّة ام بسبب غزوات الانكليز المعادين للبرتغاليين ولاسيما لاجل فشوّ داء الجدري بين الوطنيين فذهب بحياة كثيرين منهم

ولم تتحسن امور سان باولو إلّا قليلًا بانضمام عدد من البرتغاليين وذوي البشرة البيضاء اليهم في اواسط القرن السابع عشر الى ان حوّل اليها سنة ١٦٨١ المركيز كراتيس (Casues) عاصمة سان ڤيسنتي ليصون اهلها من غارات القرصان الذين كانوا يتلصّصون المدينة ويهاجمونها ويعيثون فيها . فأخذت سان باولو في التقدّم فبلغ سنة

(١) راجع كتاب الاب بوريشون J. Burnichon: Le Brésil d'Aujourdhui. p. 287-298

١٧٧٦ عدد اهلها ٢٥٠٠ ثمّ تضاعف هذا العدد بعد عشر سنوات . وانما بلغت ترقياً محسوساً فقط في القسم الثاني من القرن التاسع عشر بل اخذت ترقى الى معارج الفلاح بعد ذلك فأحصي عدد سكانها سنة ١٨٧٥ فاذا هو قريباً من ١١٧٠٠٠ وفي السنة ١٨٩٠ كان ٦٥٧٠٠٠ وادرك في بدء القرن العشرين عدد ٢٩٠٧٠٠٠ وهو اليوم لا يقلّ عن ٨٠٠٧٠٠٠ فاصبحت المدينة الثالثة في جنوبي اميركا بعد ريو دي جانيرو وبونس ايرس وغلبت عدد عاصمتي الاوروغواي والشيلي مونتيفيديو وسنتياغو . فمن كان يا ترى يحلم بهذا التقدّم بان ستتحوّل تلك القرية ذات الاكواخ الحقيرة المبنيّة حول مدرسة اليسوعيين الى احدى امّهات المدن ؟

وفي ١١ حزيران من السنة ١٩٢٥ أقيمت في سان باولو حفلة فخمة لتذكار واقعة ريشوليو واستقلال البرازيل قبل مئة سنة نُصب في المدينة تمثال لهذا العيد . وصدر الامر بان يقام سنوياً موسمٌ خصوصيّ في ٢٥ ك٢ يوم عيد ارتداد مار بولس تذكاراً لتأسيس المدينة على اسمه . وقد حضرنا في هذه السنة العيد المذكور الذي تمّ بكل أبّهة ورونق فاقام سيادة رئيس اساقفة المدينة ومن ورائي ليوبولدو قداساً حبريًا في كنيسة سيدة الكرمل . وفي اثره احتشد وفد الشعب في ساحة المدينة الكبرى وألقي خطاب بليغ ورد فيه ذكر تاريخ لديه ثمّ تغنّى الاولاد وكان عددهم نحو آلاف بالغناء الوطني وتقدّموا الى التمثال فنثروا عليه باقات زهورهم . وبعد الظهر جرى تطواف ديني جليل رأسهُ سيادة رئيس الاساقفة والاكليروس وارباب المدينة والشعب فكان لهُ احسن وقع في القلوب

اقسام مدينة سان باولو

سان باولو على اربعة اقسام : الاوّل منها المدينة القديمة وهو مركز الحركة التجارية بأسرها وفيه القصور الشامخة والابنية الفخمة الشائقة . والثاني يتألف من الضواحي وفيها الساحات والمتنزهات الواسعة . والثالث هو المدينة الحديثة ذات العمارات الشاهقة الدينيّة والمدنيّة كالقديسة افيجنيا والقديسة سيسيليا وحقول الاليزاي (Campos Elyscos) وقصر الصحّة (Hygienopolis) . والرابع يُطلق على المدينة الواطئة فيها الفسحات الكبيرة للرياضات البدنيّة والمسارات والالعاب وبهذين

الحيّين يسكن اغلب الايطاليين وفيها اعظم الحركة التجارية

وفي مركز المدينة قصر الحاكم ومعاهد ارباب الامور والمدارس العليا للتجارة والحقوق والمخازن الكبيرة وفيه توجد الآثار والمتاحف والتماثيل وبه تتصل الشوارع الكبرى حيث الازدحام مستديم والحركة لا تنقطع وفي آخر احد هذه الشوارع المعروف بالشارع الاين جسرٌ حديدي يدعى شاه (Chá) طولهُ ٢٤٠ متراً في عرض ١٤م وفي طرفهِ قصر شاهق محكم الهندسة تحيط بهِ الحدائق الجميلة. وفي شارع آخر يدعى البارون حديقة غنّاء تحتوي اجمل ما يوجد في البرازيل من اصناف الزهور. هذا ما خلا جناناً اخرى عديدة في انحاء المدينة يقصدها الاهلون في اوقات الفراغ ليستنشقوا الهواء البليل ويستجموا قواهم

متحف ساله باولو

أُفرد لهذا المتحف بناء فخمٌ حديث الطرز متقن الهندسة حسن التقسيم شُيّدوهُ قريباً من ساحة ايبيرنغا حيث نُودي باستقلال البرازيل وشُيّد الاثر الجميل المُشعر بتلك المناداة مع تماثيل مشاهير رجالهم. وقد دُشّن هذا المتحف في ٧ ايلول سنة ١٨٩٥ ويبلغ كلّ سنة عدد زائريهِ ألوفاً مؤلفة وكان احصاؤهم نحو مئتي الف في هذه السنة والدخول مباح للجمهور يومي الخميس والاحد. وفيهِ المعاهد المختلفة منها للنباتات ومنها للحيوانات والحشرات والاسماك البحرية والنهرية ومنها للاسلحة وللازياء والنقود ومنها لمصنوعات الهنود واسلحتهم. ومنها للفنون الجميلة بينها صور مشاهير البرازيل من جملتها صورة الاب اليسوعي يوسف انكيانا ذي الفضل العميم على البرازيل عموماً وعلى سان پول خصوصاً. وهذه الصورة تمثلهُ اذ كان يبشر يوماً بين الهنود واذ لم يجد ما يخطّهُ بالقلم نظم شعراً كتبهُ بعصاهُ على الارض واذا بهِ قصيدة لمديح العذراء عنونها بهذه الالفاظ: «دونك يا امّا قديسة ما نظمتهُ سابقاً في مديحك»

En tibi quæ vovi, Mater Sanctissima, quondam carmina

والحقّ يقال انّ حياة هذا الرجل العجيب موضوع اكرام كافّة اهل البرازيل يتناقلون اخبارهُ ويمدّونها كأجل أثر لهم. مدنيّتهم واليهِ ينسبون ترقي وطنهم ويعدّون

لدى الكرسي الرسولي بتثبيت قداسته . وقد اجترح من العجائب الباهرة في حياته وبعد موته ما لا يُحصى عدًّا . وأما مات في ٩ حزيران سنة ١٥٩٧ عُدَّ موتهُ رُزءًا عموميًّا اشترك في اكرام جثته وحفلة جنازته البرتغاليون وقبائل الهنود عدَّة ايام فبقي دون ان يعتري جسمهُ الفساد بل تنبعث منهُ رائحة عطرية اذهلت كلَّ الحضور . ورفاتهُ اليوم محفوظةٌ في كنيسة باهيا وقد نُقل قسمٌ منها الى رومية

الصناعة في سانه باولو

بلغت الصنائع في هذه المدينة شأوًا عظيمًا فضاعفت ثروتها . واخصّ محصولاتها المنسوجات القطنيَّة . فانها اخذت في التقدُّم شيئًا فشيئًا في القرن التاسع عشر حتى بلغت اوج نجاحها في السنة ١٩١٣ فان ولاية سان باولو تدير وحدها ٤٩ معملًا يشتغل فيها نيف و ١٦٠٠٠ عامل من ذكور واناث . ومما ساعد على نجاحها الحرب الكونيَّة التي بسببها بطلت مزاحمة المنسوجات الاجنبيَّة .

وكان اهل سان باولو يحتاجون الى اكياس من قنَّب يودعون فيها بنّهم الشهير فكانوا يستجلبونها سابقًا من الخارج فقام رجال وطنيون من ذوي الهمة وعلموا في معاملهم هذا الصنف من الانسجة حتى تمكنهم ان يستحضروا ٣٠ مليون متر منها في السنة

ومن معاملهم تصدر كذلك المنسوجات الصوفيَّة وضروب الاقمشة والبدثارات والشالات ورباطات الرقبة وقبَّاتها والجرابات والقبعات . وقد اشتهر من المعامل لهذه المنسوجات معمل القديس برنردس ومعمل كرسبي اقامهُ ايطاليون فجاروا المنسوجات الاجنبيَّة بل فاقوا عليها

ومثلها معاملهم الحريرية التي أُنشئت منذ زمن حديث وهي اليوم تجاري المعامل الحريرية الكبرى بحسن نسجها وصبغها بالالوان الزاهية

اما معاملها الغذائية فحدِّث عنها ولا حرج . فانَّ طواحينها مشهورة ومنها ما يستطيع ان يطحن في النهار نحو ٣٫٥٠٠ كيس من الحنطة ومثلها الذرة الصفراء . وقد اشتهرت ولاية سان باولو باستحضار الكعك (البسكوت) وتصديره لغيرها من البلاد وكذلك الشوكولاتا على اختلاف اشكالها وكيفيَّاتها واجناسها

ولولاية سان باولو معامل للمشروبات منها الجعة (البيرة) الفاخرة اللذيذة. ومنها المرطبات المنعشة التي لا يخالطها الكحول. والجرائد تطري في مديح معامل سان باولو التي تجهز انواع الصابون والروائح العطرية والمواد الكيموية والادوية فحازت قصب السبق في إعداد هذه الاصناف

وكذلك الصنائع البنائية بكافة موادها من حجارة وخشب ومعدن. ويساعد الاهلين على البناء ما يقربهم من الاحراج الواسعة تشتغل عدة معامل بنشر شجرها وتهيئتها. ولا غرو فان ابنية سان باولو بعد ان كانت ذات طابق واحد الى سنة ١٩٠٩ وعددها في السنة ٢٣٩٥ هي اليوم تتألف من عدة طوابق وبلغ مجموع ابنيتها سنة ١٩٢٤ ٤٢٩٥ سنوياً منها ١٢١٤ بيتاً بطوابق متعددة

الزراعة في ساند باولو

هي اكثر من صناعتها. واخص مزروعاتها البن (القهوة) والرز والذرة الصفراء وقصب السكر والتبغ والقطن

﴿القهوة﴾ تعد بلاد البرازيل من اغنى بلاد الله بمزروعات البن يصدر منها الى سائر بلاد الدنيا. ولسان باولو نصيب كبير في هذه التجارة منذ السنة ١٨٧٠ - يصدر منها في السنة عدة ملايين كيلو. على ان الحمى المعروفة بحمى البن اضعفت همة كثيرين في زراعتها

﴿الارز﴾ كان لزراعة الارز رواج عظيم منذ اوائل القرن التاسع عشر فكانوا يؤتون منه بلادهم ويصدرون الى الخارج كميات وافرة فصار التقدم عليه بعد السنة ١٨٧٠ للبن وقلت محصولات الارز حتى لم تعد تكفي لاهل البلاد فاستجلبت الحكومة منها الكميات الوافرة من الخارج إلا ان بعض الاهلين اتفقوا مع الحكومة فجعلت زيادة في المكوس على الارز الاجنبي وما مر على المزارعين الوطنيين زمن طويل حتى اعادوا للارز خصبه. وساعدهم على ذلك بعض المهاجرين من سورية فاستحضروا لتقشير الارز ادوات خاصة توفيراً لكمياته. واليد العاملة فيها اغلبها من اليابانيين

﴿الذرة الصفراء﴾ هذا النوع اصله من اميركا وجده فاتحو اميركا في القرن الخامس

عشر . وقد استجابهُ الى اوربّة كرستوف كولمبو . وهو في البرازيل كثير الاستعمال يقوتون بهِ الحيوانات ويتخذون منهُ حساء يدعونهُ Angu يشبه ما يدعوهُ الايطاليون بالپولنتا (Polenta) وهم يزرعونهُ في ايلول وتشرين الاوّل ويحصدونهُ بعد خمسة او ستة اشهر

﴿قصب السكر﴾ دخل اميركا بعد اكتشافها . واتى بهِ الى مقاطعة سان باولو المدعو مرتيم الفونسو (M. Affonso) . فازهرت زراعتهُ سنين طويلة ثم اخذ في الانحطاط والتأخير بسبب هواء البلاد وانوائهِ . وسان باولو تُعد في الترتيب كالولاية السادسة في تجارتهِ . يزرعونهُ في شهري تشرين الثاني وشباط ويقطفونهُ في آب وايلول

﴿التبغ﴾ اصلهُ من اميركة وجدهُ فاتحوها في ايدي الاهلين يدخنونهُ بقصبة (غليون) كبيرة الحجم يزينها ريش مختلف الالوان وملفوفة بشعر مضفور على طرفها . وكانوا يشربونهُ بعد الاكل فيقدمونهُ لضيفهم فتارة يستنشقهُ بأنفهِ وطوراً بفيهِ . ثم دخل التبغ الى البورتغال وفرنسة وحدثت بسببهِ نزاعات في تركية والكلترّة وغيرها ثمّ شاع في سائر العالم القديم

ان خصب سان [illegible] تصلح كثيراً للتبغ فمزرعهُ بعناية قليلة تنمو وتبت اوراقاً من افضل جنس . والتقدُّم في زراعتهِ لولاية باهيا التي تصدر منهُ سنوياً خمسين مليون كياو . ولسان باولو المقام الثاني بعدها

﴿القمن﴾ يزرعونهُ في هذه البلاد في شهر ايلول فينمو ويزهو في شباط وآذار ويبتدئون بقطفهِ في شهر نيسان . وللقطن عدوّ ازرق وهي دودة تقرض ورقهُ وتمنعها من النموّ . ويتّقون هذا الداء اما بتطهير حبوبهِ بالكبريت الفحمي واما بطلاء ورقهِ بمسحوق كبريت الحديد او بالسليماني

﴿المانجوك﴾ هو جذرُ غرسة اميركية وجدها كريستوف كولمبو عند فتح هذه البلاد فرآهم يقطعونهُ قطعاً صغيرة ويقشرونهُ فيصنعون منهُ طعاماً يدعونهُ كساو (Cassaue) وهو من اهمّ اغذيتهم . والمانجوك نوعان منهُ الحلو الذي يؤكل مسلوقاً او مشوياً . ومنهُ المرّ يؤكل محضاً لحيصاً جيّداً نجاةً من سمّهِ . والسوريون بالبرازيل كأهل الوطن يعتنون بهِ وهو دليلٌ على مائدتهم يأكلونهُ مع الارز . يُزرع المانجوك في

آب وايلول ويجوز زرعهُ في كلّ فصول السنة ويتطلب ستة اشهر من زرعهِ ويزيد طلبهُ على قدر ضخامة جذورهِ

المعارف في سان باولو

لما انقلبت هيئة الحكومة في البرازيل سنة ١٨٨٩ ونودي بالجمهورية اخذت المعارف في الرقي والنجاح في هذه البلاد. وقد ساعد على نهضتها رجال ذوو مقدرة كبستانا (R. Pestana) ومورايس (P. Moraes) وكيروس سالس (C. Salles) وانما اعلنوا بالتعليم الحرّ المجرّد عن الدين في المدارس الرسمية. لكنهم تركوا الرهبانيّات والجمعيات الدينيّة تجري على نظامها

وللحكومة مدارس عالية كالطبّ والصيدلة والآداب الراقية والفنون الجميلة والتجارة. ومن اشهر مدارس الرهبان في سان باولو مدرسة ماكينزي (Makenzie) ومدرسة القديس بنتر (São Bento). والرهبان السازيان مدرسة قلب يسوع الداخلية هي اكبر مدرسة في البرازيل يبلغ عدد تلامذتها ١٨٠٠ تلميذ وثم مدرسة الصنائع غاية في النجاح وكذلك مدرسة كبيرة داخلية الاخوة الماريست

اما الحركة العلميّة في البرازيل فهي دون ما يُرى في عواصم اوربّة والولايات المتحدة والغالب عليهم الانهماك في التجارة والاشغال الزراعيّة والسياسة

الدين في سان باولو

البرازيليون الوطنيون متشبثون باهداب الدين شديدو الاعتصام بحبل الايمان الكاثوليكي والمواظبة على اقامة فرائضه. وقد كذب الذين يشيعون في سورية بان الميركا لا دين فيها. وانما قلة الدين هي بين الغرباء القادمين الى البرازيل من الاجانب

السوريون في سان باولو

وهنا لا بُدَّ لي ان اذكر المهاجرين السوريين الذين في سان باولو. وقد سبقت مجلة المشرق منذ سنتها الاولى (ص ١١٤٠ — ١١٤٣) فنشرت مقالة واسعة في حالة السوريين

في البرازيل تناولت احوالهم المادّية والادبية والدينية . وكثير من ملحوظات كاتبها البليغ لا تزال صادقة في الزمان الحاضر بل زادت صحة

وما امكننا ان نماينه بذاتنا في هذه الاشهر التي قضيناها في سان باولو انّ حالة المهاجرين لا تزال تستدعي النظر والاهتمام وليس كلامنا هنا عن حالتهم المادّية فان السوري حيثما يحلّ لا يعدم ان يجد شغلاً رابحاً اللهمّ ان كان من ذوي الهمة والنشاط ولاسيما اذا كان مستقيماً في معاملاته مخلصاً في تصرّفه مع الجميع . ولذلك تجد في سان باولو عدداً منهم يتعاطون اشغالاً مختلفة اتّصلوا بها الى ثروة صالحة

وليس الامر كذلك في الآداب والدين . فانّ السوريين اجمالاً اذا هاجروا الى هذه البلاد واستنشقوا ريح الحرّية يصيبهم نوع من البرسام والدُوار بعد ما قاسوا في بلادهم من الضغط والجور في عهد الاتراك فلا يعرفون ان يلزموا الخطّة الوسطى بل يتركون العنان لاهوائهم ويستسلمون للنفس الامّارة بالسوء ويتخذون مهنة الكتابة كآلة لنفث سمومهم وتضليل قرائهم . ففي سان باولو عدّة جرائد تصدر بالعربية كجريدة ابو الهول والافكار رفيق لبنان والقلم الحديدي وغيرها . فقلّما تجد بين كتبتها من يملك مسحة الرصانة والتعقّل يحرّرها فتيان خرجوا حديثاً من مدارس سورية لا استعداد لهم للكتابة سوى شقشقة لسانهم وشوس عقولهم يحسبون نفوسهم من المتمدنين الراقين اذا نبذوا مبادئ الدين وتشرّبوا روح تعاليم الملحدين والدروينيين وفي مقدّمتهم صاحب القلم الحديدي فيسخرون من الدين ويهزأون بارباب ويعدّون المتمسكين بعروة الايمان كجهلة بسطاء لا يعقلون . فترى اعداد جرائدهم مشحونة بالطعن في الدين وبالاعتراضات السخيفة على تعاليمه الالهية التي فنّدها العلماء الف مرة فيردّدونها كالببغاء كما تعلّموها من الزنادقة الملحدين . وربّما فضّلوا على عقائد ديننا السماوي اضاليل بوذا وكونفوشيوس فترى في كلامهم لغطاً ومشاقشات وتلفيقات واختلاقات يحمرّ منها الوجه خجلاً وتُقنع البرازيليين الوطنيين بما سمعوهُ مراراً من أن السوريين خالون لا دين لهم

وكما يضلّون بالدين كذلك رأيناهم في اشهُر هذه السنة رشقوا بسهامهم الطائشة الانتداب الفرنساوي على سورية واطرأوا ثورة الدروز ومثلوا الاشقياء والثوّار كاصحاب الشهامة والمروّة وحب الوطن بينما كانوا يقترفون ضروب الفظائع

التي لا يأتيها همج البرابرة في حقّ مواطنيهم زاحوتهم الابرياء فتجاوزوا كلّ حدود الانسانيّة وسطّروا لهم في التاريخ صحائف سودًا سوف تَسِمهم بسمة العار الى منتهى الدهر. وقد نسي هؤلاء الكتبة فضل فرنسة على بلادهم مدّة مئتين من السنين فتشبّثوا في غارات اقلامهم عليها ببعض الهفوات المغفورة فصحّ فيهم قول الشيخ ناصيف اليازجي :

بنى من الحسن طودًا قد رسا ولا ينى منهُ ذرًى اذا أسا

على انّنا نستثني من هذه الوُرَيقات السافلة جريدة ابو الهول لشكري افندي الخوري الذي وقف في وجه هؤلاء الغلاة مع مساعديه وقفة الابطال فنفّدوا اقوالهم احسن تفنيد وثبتوا على ولائهم لفرنسة فلم يتقلّبوا تقلّب الحرباء متلوّنين لوذًا كلّ يوم وفقًا لمصالحهم وغاياتهم الدنيّة

ومما سُررنا به انّ بعض المتأدبين من السوريين المهاجرين قد عزموا في هذه الايام على ان يعلنوا بشكرهم نحو البرازيل بأثر محسوس فاوعزوا الى النخّات كسيانس (Ximenez) ان يرسم لهم طوابع خصوصيّة تُشعر بمنونيّتهم لهذه البلاد التي اكرمت مثواهم وكانت نِعم ارباحهم ورقيّهم واليها يتهافتون كل سنة لينجوا من آفات الدهر

وفي الختام لا يسعني السكوت عمّا يجدهُ مواطنونا الاتقياء من اللطف والكرامة من الاكليروس البرازيلي في سان باولو. وقد وجد الحقير كاتب هذه الاسطر من الحفاوة والانعطاف لدى رئيس اساقفة سان باولو وكهنته وخصوصاً كاهن رعيّة كنيسة القديسة افيجينيا الاب كاستون ليبرال بنتو ومساعده ما سيبقى ذكرهُ مخلّدًا في قلبه الى آخر الحياة